

تفسير البحر المحيط

@ 517 @ العافية والكفاية ، وقيل : الرضا بالقضاء ، ذكرهما الماوردي . وقال الزمخشري : المؤمن مع العمل الصالح إن كان موسراً فلا مقال فيه ، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه ، وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى . والفاجر إن كان معسراً فلا إشكال في أمره ، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه . وقال ابن عطية : طيب الحياة للصالحين بانبساط نفوسهم ونيلها وقوة رجائهم ، والرجاء للنفس أمر ملذ ، وبأنهم احتقروا الدنيا فزالَت همومها عنهم ، فإن انضاف إلى هذا مال حلال وصحة وقناعة فذاك كمال ، وإلا فالطيب فيما ذكرنا راتب . وعاد الضمير في فلنحيينه على لفظة من مفرداً ، وفي ولنجزينهم على معناها من الجمع ، فجمع . وروي عن نافع : ولنجزينهم بالياء بدل النون ، التفت من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة . وينبغي أن يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفاً على فلنحيينه ، فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية ، وكلتاها محذوفتان . ولا يكون من عطف جواب على جواب ، لتغاير الإسناد ، وإفضاء الثاني إلى إخبار المتكلم عن نفسه بإخبار الغائب ، وذلك لا يجوز . فعلى هذا لا يجوز : زيد قلت والله لأضرب هنداً ولنفيها ، يريد ولنفيها زيد . فإن جعلته على إضمار قسم ثان جاز أي : وقال زيد لنفيها لأن ، لك في هذا التركيب أن تحكى لفظه ، وأن تحكى على المعنى . فمن الأول : { وَلَئِيحَلْفَنَّا * بِلَا إِلَهِ إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ إِنْ كَرِهْنَا إِلَّا * الْخُشْيَانِ } ومن الثاني : { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا } ولو جاء على اللفظ لكان ما قلنا . .

{ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّ زَنْهَهُ لَيُفْسِدُ لَهُ سُلْطَانَهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّ زَنْهَمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّ زَنْهَمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّ زَنْهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ زَنْهَمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَازِل لِّسَانٌ عَرَبِيٌّ * مَّيِّينٌ } : لما ذكر تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَیْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّلْكُلِّ شَيْءٍ } وذكر أشياء مما بين في الكتاب ، ثم ذكر قوله : { مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ } ذكر ما يصون به القارئ

قراءته من وسوسة الشيطان ونزغته ، فخطب السامع بالاستعادة منه إذا أخذ في القراءة . فإن كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم (لفظاً فالمراد أمته ، إذ كانت قراءة القرآن من أجل الأعمال الصالحة كما ورد في الحديث : { ءَانِ * ثَوَابَ * فَأُوْءَلِّئِكَ يُمْدَدُّ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } والظاهر بعقب الاستعادة . وقد روى ذلك بعض الرواة عن حمزة ، وروي عن ابن سيرين أنه قال : كلما قرأت الفاتحة حين تقول : آمين ، فاستعد . وروي عن أبي هريرة ، ومالك ، وداود . تعقبها القراءة كما روي عن حمزة والجمهور : على ترك هذا الظاهر وتأويله بمعنى : فإذا أردت القراءة . قال الزمخشري : لأنّ الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه ، فكان بسبب قوى وملابسة طاهرة كقوله : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَأْسِ } (إذا أكلت فسم الله) وقال ابن عطية : فإذا وصلة بين الكلامين والعرب تستعملها في مثل هذا ، وتقدير الآية : فإذا أخذت في قراءة القرآن فاستعد ، أمر بالاستعادة . فالجمهور على النذب ، وعن عطاء الوجوب . والظاهر : طلب الاستعادة عند القراءة مطلقاً ، والظاهر : أنّ الشيطان المراد به إبليس وأعوانه . وقيل : عام في كل متمرّدات من جن وإنس ، كما قال شياطين الإنس والجن . واختلف في كيفية الاستعادة ، والذي صار إليه الجمهور من القراء وغيرهم واختاروه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، لما روى عبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وجبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم (: أنه استعاذ عند القراءة بهذا اللفظ بعينه) ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين . والسلطان هنا التسليط والولاية ، والمعنى : أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته كما قال تعالى : { إِنَّ سَعْيَ الْبَادِي لَإِيَّاسَ لَكَ عَالِيَهُمْ سُلْطَانٌ } وكما أخبر تعالى عنه